



زهران القاسمي

يجيء متوكلنا على عصاه الغليظة، هكذا عهد هذه سكان القرية، بتلك العصا ويعرجته، يمشي متمهلاً، يقطع الحارات، وينزل إلى حقول النخيل، متتبعا الدرب الذي يقوده إلى حيث ينتظره الأطفال بمصاحفهم ليبدؤوا معه حلقة جديدة من تحفيظ وقراءة القرآن، يصل إلى المكان بعد أن يتوقف لمرات عديدة مستريحاً، وهو يعاني تلك الآلام في رجله التي سببت له عرجه أبدية، حاول أن يعالجها بشتى أنواع العلاجات ولكن بلا فائدة. يقف الجميع ليسلموا على المعلم، يتحلقون حوله، يبدأ في استماعه لكل واحد منهم كيف يقرأ درس البارحة، يدور بينهم كما تدور عقرب الساعة، متأنياً هادئاً، يصحح الأخطاء لقراءاتهم، ويلقي الأوامر الجديدة عليهم وهم صامتون، كانوا يتعاملون في حضرته بكل هيبه واحترام، كانوا يخضعون لكل أوامره ويخافون عصاه الغليظة التي لا ترحم. الممشى الذي يصل إلى منبع الفلج من أول الحارات وحتى آخرها يمر بالقرب من المدرسة، من هنا تمر النساء جماعات أو كل على حدة وهن ذاهبات

لإحضار الماء من المنبع، يقطعن هذه المسافة يوميًا عدة مرات، ليستخدمن تلك المياه العذبة الصافية للشرب وللطهو، من هناك، حيث لا يعكر صفو الماء شيء، وحيث القانون القروي يمنع بعد تلك النقطة أن تستخدم الفلج لشيء أبداً، حتى يظل نظيفاً وخالياً تماماً مما يعكره أو يلوته. مرت مجموعة من النساء بالقرب من المدرسة، ألقين تحية الصباح على المعلم، رفع رأسه، بادلهن التحية مبتسماً ثم عاد لمواصلة الدرس، ذهبت المجموعة بعيداً، وصلت النساء إلى المنبع ومالأن أوعيتهن ثم عدن إلى بيوتهن، وفي طريق العودة مررن مرة أخرى بالمعلم، سلمن عليه ثانية وهن يحملن فوق رؤوسهن الأوعية المملوءة بالماء، رفع رأسه لبيادلهن التحية مرة أخرى فسقطت إحدى النساء، تعثرت رجلها فسقط الوعاء المملوء بالماء، تعثرت وسقطت منكبة على وجهها بين صويحاتها، صرخ بعضهن، وبعضهن بدان في التهكم عليها، قالت لها إحداهن: (شاف عليش المعلم)، وقالت لها أخرى: (حموه تندسي عنّه وسطيتنا وما تسلمي

عليه؟)، بدأ التهكم يسري، أوقف المعلم الدرس، قام من وسط الحلقة، اعتذر لها وقال: (لا تصدقي كلامهن، أنا ما سويت شيء، هنه باغيات يضحكن عليش). ذهبت المجموعة إلى بيوتهن، عادت المرأة إلى المنبع لتملاً وعاءها مرة أخرى، رافقتها إحداهن، وفي طريق عودتها كانت تحدث نفسها، (ما بخلي المعلم يشوف عليّ عن أطيح مرة ثانية)، كان تهجس وقد بدا الارتباك على مشيتها، وعندما وصلت بالقرب من حلقة الدرس، رفع المعلم رأسه من انهماكة ليطمئن عليها، تعثرت ثانية وسقطت سقطت أشد من الأولى، رفع الأطفال رؤوسهم ناحيتها وضحكوا بشدة، تركوا صمتهم ووقارهم وصرخوا عليها: (شاف عليش المعلم، شاف عليش المعلم)، قامت من سقطتها، رفعت ماعونها وذهبت ناحية بيتها باكياً.



TUESDAY 8 june 2010

الخلافا ٢٥ من جمادى الثانية ١٤٣١ هـ - الموافق ٨ من يونيو ٢٠١٠ م

## الفنان المثقف

عبدالكريم الميمني\*



من المعلوم أن منشأ المعرفة هي شعور ذاتي ينبعث من رغبة صاحبها في الحصول عليها، وهي من الصفات التي يتميز بها فرد عن فرد، ومجتمع عن آخر. وعلى ذلك فإن كل مبدع له في حقله ثقافة خاصة وثقافة عامة وبقدر ما يتملك من قوة الثقافة والمعرفة في مجاله سنرى الانعكاس جلياً وواضحاً في تفرد نتاجاته الإبداعية وتطورها عن أقرانه، والفنان شأنه في طلب المعرفة شأن بقية المبدعين فهو بمداركه الإنسانية يستند إلى ثقافته التي تعينه على رؤية الأبعاد الجمالية التي تتفجر من استجابته لما يحرك مشاعره ويحدد سلوكه الفني في مجتمعه. لأنه من الملاحظ وجود فئة من الفنانين ممن يكتفون بمزاولة العملية التشكيلية من خلال إنتاج فنونهم المختلفة ولا يهتمون بقراءة ما يدور حول الفنون أو علم الجمال أو الدراسات المقارنة، وأحياناً يذهب بهم المال إلى تقليد فنون آخرين لا تربطهم بهم صلة اجتماعية أو ثقافية أو قومية، فتؤدي بهم إلى إنتاج فن غير واع ولا يستند لمعايير علم الفن والجمال.

وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن لغير الفنان أن يلمس عناصر الجمال الصالحة للتطبيق الفني مثلما يشعر بها الفنان المثقف الممارس لعلمه وفق رؤية علمية تستند على موهبة حقيقية، فثقافة الفنان الواسعة في شتى مجالات الفن الذي يمارسه كعلم الجمال والتذوق الفني والدراسة التاريخية بنشأة الفنون وتطورها وغيرها من المعارف التي يجب أن تتحلى بها شخصية الفنان لن تأتي له إلا من خلال الإطلاع الدائم والمستمر والبحث العلمي في الفن، وبغير ذلك سيصبح الفنان كمن يملك أرضاً لا يهتم بحرثها وريها وزراعتها ليجني ثمارها، وكذلك الشخصية الفنية هي الأخرى تحتاج إلى ما يساعدها على تدعيم كيانها وتنمية قدراتها بالتأمل والتفكير، فامتلاك الفنان لهذه المقومات الثقافية في شخصيته سيتمكن بدون شك من إضافة شيء جديد في أسلوبه الفني، وفي المقابل لن يستطيع أي فنان معاصر أن يأتي بجديد ما لم يحط بما فعله غيره في الماضي. فبناء الشخصية الفنية المتفاعلة لا يتم التحصل عليه إلا بالمزيد من الإطلاع والمزيد من الثقافة حتى تصبح قدرات الفنان الإبداعية غير محدودة فلا تقف عند طراز معين وأسلوب متكرر.

يقول الدكتور محمود بسيوني في كتابه الفن والتربية أن الممارسة الدائمة في إنتاج الفنون تعود بالفائدة الكبيرة على صاحبها من خلال اكتساب المعرفة وهي معرفة مصحة، تختلف عن تلك التي يكتسبها في العلوم الأكاديمية، فالعين حينما تنظر إلى الأشياء تستخلص منها معانٍ في تركيبها وعلاقات عناصرها، ووضعها في المحيط الذي ترى فيه، وتأثيرها على من يراها. فثقافة الفنان يمكن أن يكتسبها أيضاً من خلال مصدر آخر غير مصدر الكتب كمصدر المراهنة والخبرة المستديمة في الإنتاج الفني حيث لا يدركها إلا من عانى تلك الخبرات، كما وأن المعرفة تزداد وتتأصل كلما ازدادت المعاناة والمعرفة النوعية بشرط أن لا تتكرر على نمط واحد، وهي معرفة بطبيعة الإبداع المتجدد باستمرار، الذي يثري معرفة الفنان ويعمق ثقافته بالأشياء التي يراها ويدركها من خلال هذه التجارب الفنية المتعددة، التي لا تفنى ما بقي الفنان ينتجون ويبدعون ويتأملون. كما أن أية معرفة لا يصحبها سلوك عملي تطبق فيه تلك الثقافة المكتسبة وتغير من مستوى السلوك الأصيل إلى الأفضل، فلن تعتبر بأي حال من الأحوال ثقافة حقيقية مكتسبة، لأن العلم الذي يكتسبه الفنان ولا يطبقه في واقعه يعتبر محفوظات جوفاء تتطاير مع الزمن، وكثيراً ما قابلنا في حياتنا الفنية كثيرين يقولون ما لا يفعلون وينادون بمبادئ هم أول من يهدمها وعلى ذلك تعتبر تربيتهم العامة والفنية ناقصة. ولذلك فإن ممارسة الفنون دائماً ما نجدها تربط الفهم بالعمل، والمبدأ بالتفويض، والتعلم بالممارسة، والنظري بالعمل، ولذلك يقول الناقد جيروم ستوليتنز "إن العمل الفني ليس مرآة، بل هو أشبه بنسيج كائن عضوي، وتنظيم فريد لعناصر تربط بينها علاقات متبادلة" فهو بهذا القول يؤكد على أن الفنان وما يملكه من ثقافة عالية يساهمان وبشكل موفق في تقديم أجمل الروائع في عالم الفن الجميل. ■

al-maimani@hotmail.com



مختارات - صالح العامري \*

## وجوه وظلال (٢٨)

### نحويون

طساق بساب هسذا السدار. فسقال السنسحسوي (وقسدر استسئساره استخدامسه الركيك للذي): ما ترى لك في صلبه الذي شبيهاً. فانصرف راشداً.

\*\*\*\*\*  
عاد بعضهم نحويًا، فقال له: ما أصابك؟ قال: حمى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية. فقال له: لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية!

\*\*\*\*\*  
تروي المصادر بأنه بعد أن استسقر المقام بأسبي الطبيب المتنبي في بلاط سيف الدولة، وأثره على من حوله، وقدمه على حاشيته ويطانته، حسده بطانته فوشوا به، وكان أشدهم في ذلك ابن خالويه النسحوي، فجرت مناظرة بينه وبين أبي الطيب في مجلس سيف الدولة، فضربه ابن خالويه بمفتاح حديد في وجهه فشجبه، ولم ينتصف له سيف الدولة، فخرج إلى مصر عام ٣٤٦ هـ. هجرية، مغاضباً لسيف الدولة، قاصداً كافور الإخشيدي...

\*\*\*\*\*  
نعل الفراء، من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان:

كسان الفراء أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن إبنيه النحو. فلما كسان يسوماً أراد السفر أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً، فقدمها. وكان المأمون لسه علسي كل شيء صساحب خير (أي جساسوس)، فرفع ذلك الخبر إليه. فوجه إلى الفراء فاستدعاه. فلما دخل عليه قال: من أعز الناس؟ قال: مسأ أعسرف أعسر مسن أمير المؤمنين. قال المأمون: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه ولياً عهد المسلمين حتى رضسي كل واحد أن يقدم لسه فرداً. قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقاً إليهما. ■

\* شاعر عماني



■ اللوحة للفنانة سناء الحميدي

إنه موضع ملأتم تماماً، قرب الأشياء التي قد تحيا. في ذاكرته - حتى الآن - هوامش، نصوص، مخطوطات، ومجلدات من التعاليق الإغريقية. وهكذا، حين نذهب إلى كتبنا، سننظر فيها ونقدم الإجلال اللازم إلى القبر الذي يرقد فيه.

\*\*\*\*\*  
من أخبار الحمقى والمغفلين لابن القيم الجوزي:  
كان بسجستان شيخ يتعاطى النحو، وكان له ابن، فقال لابنه: إذا أردت أن تتكلم بشيء فأعرضه على عقلك، وفكر فيه بجهدك، حتى تقومه، ثم أخرج الكلمة مقومة.

فيبينما هما جالسان في بعض دق رجل دار نسحوي، فقال: من ذا؟ فقال الرجل: أنا الذي أبو عمرو بن الجصاص عقد

من "كتاب خاص الخاص" للثعالبي:

وصف بعضهم مستذلاً متهناً فقال: هو زيد المضروب والعود المركوب. وقال (أبو الحسن الكسائي) عجباً الخظ يمنع مسن استعجامة، وشكله يمنع من إشكاله.

وذكر أبو عبدالله المرزبان في كتابه "كتاب معجم الشعر، أن" أبا الحسن سعيد بن مصعب المعروف بالأخفش النسحوي البصري الأكبر: أخذ النحو عن سيبويه، وكان أسن من سيبويه. ثم أدب وولد المعدل بن غيلان، فكتب يوماً إلى ابن المعدل، وقد احتساج إلى أن يركب دابة في حاجة:

أردت الركوب إلى حاجة. فمر لي بفاعة من ديبب فأجابه بن المعدل بقوله: تريد بنا يا أبا عامر. ركوباً على فاعل من غريب.

وقال محمد بن أبي محمد البيهقي في الهجاء:

يا أفر الناس بأبائهم.. أتيتنا بالعجب العاجب قلت وأدغمت أبا خاملاً.. أنا ابن أخت الحسن الحاجب وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه:

أفدي الغزال الذي في النحو كلمني.. مناظراً، فاجتذبت الشهد من شفته

ثم افترقنا على رأي رضيت به.. فالرفع من صفتي والنصب من صفته؟

وأنشدني أيضاً لنفسه: عسزلست ولم أذنب ولم أك خائناً.. وهذا لإنصاف الوزير خلاف

حذفت وغيري مئسبت في مكانه.. كأي نون الجمع حين يضاف

وقال غيره: أدرجت في أثناء نسبانكم.. حتى كأي ألف الوصل

\*\*\*\*\*  
قبر النحوي لياساس، للشاعر اليوناني كفافيس - ت. سعدي يوسف:  
قرب مكتبة بيروت، تماماً إلى يمين المدخل: دفننا لياساس: النحوي الحكيم.